

العدد الخمسون / يناير / 2021

ترجمة مقالة علمية

METTRE EN ŒUVRE UNE APPROCHE INTERACTIONNELLE SUR LE WEB 2.0

د. عادل مُجد اعنينة

أستاذ مساعد في اللسانيات الفرنسية والمقارنة

جامعة عمر المختار - كلية الآداب والعلوم - درنة - قسم اللغة الفرنسية

المجلة الليبية العالمية



Global Libyan Journal

ترجمة مقالة علمية

METTRE EN ŒUVRE UNE APPROCHE INTERACTIONNELLE SUR LE WEB 2.0

Abstract¹

Many specialists in the field of teaching French as a foreign language, including the author of this article, suggest giving priority to a curriculum which is based on the implementation of communication tasks within an action-oriented perspective and joint work and interaction. Concepts such as "joint work methodology", "work-oriented framework" and others such as "social actor", "process" and "product" represent the core of this approach. They are centered around a very simple principle which is allowing language learners to use the language. This language, in which the work-oriented approach is a real tool for communication and joint interaction. Today, there is a need for the integration of new technologies, specifically, everything happening in the field of the Internet and the necessity of using them inside and outside the language classroom. Due to the absence of this vision and its importance in advancing the teaching of foreign languages in our country in general, and the French language in particular, and to benefit from this methodology even in teaching Arabic language, we have considered the translation of this article because of the ideas, propositions, criticisms and analysis it contains which may contribute to creating a modern and mechanized educational environment in the field of education Languages in our country.

Keys words:

Action-oriented perspective - social actor - process - product - network 2.0 - joint interaction

ملخص²

يقترح الكثير من المتخصصين ومنسقي البرامج والمناهج والمسؤولين التربويين في مجال تدريس اللغة الفرنسية كلغة أجنبية ومنهم كاتب هذا المقال إعطاء الأولوية لمنهج يعتمد على تنفيذ مهام اتصالية داخل إطار عام موجه للعمل والتفاعل المشترك. فمفاهيم مثل " منهج العمل المشترك " و "الإطار الموجه للعمل" وغيرها مثل " فاعل اجتماعي " و " عملية " و " منتج " ... التي تمثل صلب هذا المنهج والتي هي نتاج اقتراحات ورؤى وأبحاث للعديد من المختصين كانت تتمحور حول مبدأ بسيط جداً يدعو إلى السماح لتعلمي اللغة باستخدام اللغة. هذه اللغة التي يتخذ منها المنهج الموجه للعمل أداة حقيقية للتواصل والتفاعل المشترك تستدعي اليوم دمج التقنيات الجديدة وبشكل أكثر تحديداً كل ما يحدث في مجال الإنترنت والشبكات في الدرس اللغوي داخل الصف اللغوي وخارجه. ولغياب هذه الرؤية وأهميتها في الرقي بتعليم اللغات الأجنبية في بلادنا بصفة عامة، واللغة الفرنسية بصفة خاصة، وللاستفادة من هذه المنهجية حتى في تعليم اللغة العربية رأينا ترجمة هذا المقال لما يحمله من افكار وأطروحات وانتقادات وتحليلات قد تساهم في خلق بيئة تعليمية حديثة وممكنة في مجال تعليم اللغات في بلادنا.

الكلمات المفتاحية: المنظور الموجه للعمل - فاعل اجتماعي - عملية - منتج - الشبكة 2.0 - التفاعل المشترك

¹ Abstract is done by the translator.

² ملخص مُعد من قبل المترجم.

مقدمة المترجم

أن دراسة العلاقة بين الترجمة وتعلم وتدريب اللغات الأجنبية، كالفرنسية على سبيل المثال، تُظهر ان الترجمة التعليمية أو الترجمة لأغراض تعليمية تختلف عن الترجمة المهنية، فالترجمة التعليمية هي عملية انتقال لغوي بين اللغات تُمارس في برامج التدريس اللغوية وداخل القاعة التدريسية وتهدف إلى اكتساب لغة أو لغات ما. وتظهر هذه الممارسة للترجمة التعليمية جلياً في تدريس مقررات الترجمة في أقسام اللغة الفرنسية كلغة اجنبية في الجامعات الليبية. وتهدف من خلال ترجمتنا للمقالة التي بين ايدينا إلى لفت نظر المتخصصين ومنسقي البرامج والمناهج والمسؤولين التربويين في مجال تدريس اللغة الفرنسية كلغة أجنبية في ليبيا إلى أهمية هذا النوع من الترجمة بكونها عامل مساعد ومكمل للطرق والمناهج الحديثة في تعلم وتدريب اللغة الفرنسية وكأداة ناقلية للتطورات الحديثة في هذا المجال. وقبل أن نخوض في ترجمة هذه المقالة، سنقدم للعلاقة بين تعلم وتدريب اللغات والترجمة التعليمية ونعرج على ضرورة ادخال التقنيات الحديثة في تعلم وتدريب اللغة الفرنسية في ليبيا وننتهي ببعض التوصيات.

ويُظهر مفهوم الترجمة ودراساتها إمكانية أن تصبح الترجمة أداة مساعدة وفعالة في تعلم وتدريب اللغات، جنباً إلى جنب مع الأساليب التعليمية المعاصرة الأخرى. وتتميز عملية الترجمة، على وجه الخصوص في البداية، بتحليل جميع الجوانب اللغوية (المعجم، والعبارات، والنحو) للمواد اللغوية المراد ترجمتها، حتى قبل انتقالها إلى تحليل الجوانب النصية الأخرى (شعرية، أسلوبية، إلخ). ولهذا أصبحت دراسة العلاقة بين الترجمة وتعلم اللغة وتدريبها، ودراسة خصوصيات الترجمة التعليمية التي تختلف عن الترجمة المهنية، وتحليل وسائل الترجمة كعناصر تعليمية وذلك من خلال البرامج الدراسية في كليات وأقسام تعليم اللغات. وكما هو معروف تقليدياً إن الهدف من تعلم وتدريب لغة أو لغات أجنبية هو التواصل بين المجتمعات واللغات والثقافات المختلفة. ويقاس مدى نجاح هذه العملية التعليمية بمدى استيفاء وتحقيق هذا الهدف، أي تحقيق التواصل مع اللغة والثقافة الهدف.

والسؤال الذي يطرح نفسه من خلال تسليط الضوء على دور الترجمة في تعلم وتدريب اللغات هو معرفة إذا ما كانت عملية التواصل هي الغاية القصوى لعملية معينة من عمليات النقل اللغوي كالترجمة مثلاً. فيرى بعض منظري المدرسة الحرفية في الترجمة ك والتر بنجامين في مقالته الشهيرة المعنونة بـ "مهمة المترجم" أن الهدف من الترجمة باعتبارها أداة للتبادل ليس التواصل ولا حتى نقل رسالة لغوية معينة. ويرى أصحاب الطريقة "نحو - ترجمة" التي كانت تعتبر كأول طريقة تعلم وتدريب اللغات الأجنبية أنها تنطوي على بعض العناصر المقلقة كحاجة الترجمة إلى مجهود كبير من الحفظ الذي سرعان ما يؤدي إلى احباط التلميذ وادخاله في حالة من الملل وأن الترجمة تفترض عملية تعبيرية معقدة إضافة إلى إشكالية اتخاذ اللغة الأم كمرجعية قد تمثل حالة مقاومة سلبية لتعلم اللغة الأجنبية حتى انما قد تكون السبب وراء تداخلات واضطرابات تنعكس على اكتساب وممارسة هذه اللغة. كل هذه الاسباب والحجج إزاء الترجمة ودورها في العملية التعليمية اللغوية دفعت المتخصصين في تدريس اللغات الأجنبية إلى التفكير في اختيار طرق بديلة وفتحت المجال امام ظهور الطريقة المباشرة في تعليم اللغات. فعلت الاصوات التي تدعو اليوم إلى فسح المجال أمام الترجمة ومنحها دور أكبر في عملية تعلم وتدريب اللغات معتبرة أن ترجمة النصوص المتخصصة هي من أكثر الأساليب فعالية لتنمية وتطوير الكفاية الخطابية المتعلقة بالتلقي والإنتاج للطلبة المتعلمين للغة ما حيث تجعلهم على دراية بالجوانب التطبيقية والواقعية لممارسة هذه اللغة في السياقات الحقيقية وتلفت نظرهم إلى الاختلافات الخطابية في الثقافتين المتواصلتين مع إتاحة إمكانية مقارنة الطريقة التي تتعايش بها لغة التخصص مع اللغة العامة في إطار نفس المحتوى النصي المكتوب بلغتين مختلفتين.

العدد الخمسون / يناير / 2021

أن اللجوء إلى الترجمة كعامل مساعد لتعلم وتدرّس اللغة الأجنبية هو في حد ذاته إدراك ووعي بالأساليب التعليمية الحديثة، وبأن بعض القواسم المشتركة بين تعلم وتدرّس لغة أجنبية وبين عملية الترجمة ستساعدنا حتماً على فهم أفضل لكيفية عمل الترجمة ومدى ارتباطها باكتساب اللغة الأجنبية. فتعلم اللغة الأجنبية ومن ثم ممارسة الترجمة يمر بعملية انتقال وربما بعملية تدرّج؛ فالعبور من خلال اللغة الأم إلى اللغة الأجنبية يميز كلتا العمليتين. فأتساءل عملية تعلم اللغة الأجنبية يتخذ العقل الباطن والعادات اللغوية للمتعلم من اللغة الأم قاعدة مرجعية حتى وإن حاولت بعض الطرق الحديثة التقليل من دورها، وإن التبادل بين اللغتين - الأم والهدف - يتم لدى المتعلم بدرجات متفاوتة، خاصة عندما يكون المتعلم بالغا. ويحدث الشيء نفسه خلال عملية الترجمة، فحين نتقل باستمرار من اللغة الأم إلى اللغة الأجنبية والعكس صحيح لئتم بعد ذلك تحديد درجة التقدم والنتيجة، فمهاارة التواصل الجيد في تعلم اللغة ومهاارة النقل الجيد في الترجمة هما المعياران اللذان يحددان مستويات هذا التقدم. وهناك عامل مشترك آخر هو أن الظاهرتين - تعلم اللغة والترجمة - تواجهان مأزقاً رئيسياً في رحلتها نحو الهدف: مسألة الثقافة والعناصر الثقافية، لدرجة أن تجاوز هذه العقبة سيؤدي بالنسبة للمتعلم والمترجم عملية جيدة للتواصل الاجتماعي والثقافي.

على الرغم من أن الترجمة كانت أول وأقدم أداة تستخدم لتعليم وتعلم اللغات الأجنبية، فإن الموقف من الترجمة في مجال تدرّس اللغة بصفة عامة والفرنسية كلغة أجنبية في ليبيا بصفة خاصة يتسم بالغموض، إن لم يكن مرتبطاً بالرفض التام لدى البعض، إلى درجة بروز ممارسات سلبية تُبنى على الافتراض المسبق والصورة النمطية المعتادة بأن اللغة الأم تدخل ما من شأنه أن يبطئ من تطور الكفاءة الاتصالية للمتعلمين لهذه اللغة.

ومع ذلك، نلاحظ أن الكثير من المعلمين ولاسيما أولئك الذين تم إعدادهم وتكوينهم وفق النهج التواصلية وعلى الرغم من معارضتهم الظاهرية لاستخدام الترجمة كأداة تعليمية إلا أنهم يجدون أنفسهم لا إرادياً مرغمين على استخدامها ومطالبة طلابهم بترجمة عبارات أو فقرات معينة - بشكل عام من اللغة المصدر إلى اللغة الهدف - بطريقة لا إرادية وغير مبرجة ومتخفية وغالباً ما يشعرون بنوع من التقصير كما لو كانوا ارتكبوا خطأً أو كما لو أنهم خانوا المبادئ التأسيسية لتدرّس اللغة الفرنسية.

إن دور الترجمة في تعلم وتدرّس اللغة الفرنسية كلغة أجنبية في ليبيا يكمن في كونها وسيلة للمقارنة بين نظامين لغويين مختلفين وتساعد في التأقلم مع نظام اللغة الأجنبية وفهم اللغة الأم بشكل أفضل. وتكون الترجمة التعليمية ضرورية في مرحلة ما من عملية التعلم لتزويد المتعلم باستراتيجيات الاستيعاب ولتنمية مهارات الفهم والإنتاج بشكل أكبر. شئنا أم ابيننا، فإن الترجمة موجودة في قاعاتنا الدراسية لتعليم اللغة الفرنسية، لذا يجب علينا من الحكمة أن نأخذ ذلك بعين الاعتبار وأن "نعلمها" بدلاً من تجاهلها وأن "نلجأ إليها" ملء الفراغ المعرفي لدينا بترجمة كل ما يتعلق بتطوير ونهضة تعليم اللغات الأجنبية ونقله إلى العربية وأن نُعد معلمو المستقبل لاستخدامها وأن يترك الأمر لهم وحدهم - بعد تخرجهم وتعيينهم - ليحددون اللحظة المناسبة لاستخدامها. فيجب على مصممي البرامج والمفتشين ومؤسسات التكوين والإعداد والتدريب تزويد المعلم باستراتيجيات تسمح له بفرز أنسب الأساليب لتلاميذه وتعليمه كيفية التصرف في مواجهة الترجمة في الفصل ومعرفة كيفية الموازنة بين الاستخدام الخاص باللغتين: العربية والفرنسية.

وشهدت السنوات الأخيرة نمواً كبيراً في استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في التعليم بشكل كبير، لا سيما في مجال تعلم وتدرّس اللغات الأجنبية ومنها بطبيعة الحال اللغة الفرنسية. تعود هذه الثورة - إلى حد ما - إلى الخطاب الواعد

العدد الخمسون / يناير / 2021

للمتخصصين في مجال الحوسبة ومجال تعليم اللغات والتربويين والمسؤولين ، وبالتالي أصبح من الضروري أن يكتسب المعلمون المستقبليون المهارات اللازمة للاستخدام الفعال لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات في تعليمهم. كما أصبح من الضروري بالنسبة للمؤسسات المختلفة المسؤولة عن تدريب وتكوين وإعداد المعلمين التأكد من أن هؤلاء المعلمين مؤهلين في هذا المجال وقادرين على مواكبة تطوراتها. وتحقيقاً لذلك ، يتوجب على هذه المؤسسات إعادة هيكلة برامجها التدريبية والتدريسية من أجل دمج تعليم وتعلم تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في خططها التطويرية لتعلم وتدريب اللغات. لكن السؤال الذي يطرح نفسه: أين نحن من ذلك في مؤسسات تعليم اللغات في ليبيا؟

وتعتبر المناهج والطرق الحديثة في تدريس اللغة الفرنسية كلغة أجنبية ومنها المنهج التفاعلي المشترك أن اللغة أداة تبادل وتشارك لا غنى عنها وأن ادماج التقنيات الحديثة في عملية تعلم وتدريب اللغة ضرورة لا يمكن الحياد عنها. وإحدى هذه التقنيات الحديثة التي يجب دمجها في تدريس وتعلم اللغات بشكل عام، واللغة الفرنسية كلغة أجنبية على وجه الخصوص ، هي تكنولوجيا المعلومات والاتصالات والشبكات. وسنكتفي في هذه المقدمة بالإشارة الخطوط العريضة لهذه التكنولوجيا الجديدة ودمجها في تدريب وتكوين وإعداد المعلمين المستقبليين للغة الفرنسية كلغة أجنبية في ليبيا وفي ممارساتنا التعليمية لهذه اللغة. فتكنولوجيا المعلومات والاتصالات تعني تقنيات المعلومات والاتصالات لغرض التعليم التي تغطي الأدوات والمنتجات الرقمية التي يمكن استخدامها في التعليم والتدريب وهي تجمع مجموعة من الأدوات المصممة والمستخدمة لإنتاج المستندات الرقمية ومعالجتها وتخزينها وتبادلها وتصنيفها والعثور عليها وقراءتها لأغراض التدريس والتعلم.

كما يهدف استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات إلى تطوير مهارات الاتصال من خلال تدريب المتعلمين على القراءة والاستماع والبحث عن المعلومات وتعلم ثقافة اللغة الفرنسية والتواصل التعبيري والعمل بشكل مستقل على منصات ومدونات الشبكة كمنصة ويكيبيديا على سبيل المثال لا الحصر .ومن ناحية أخرى ، فإذا ما لبثت تكنولوجيا المعلومات والاتصالات الحاجة المؤسساتية والتكيف مع التطورات التكنولوجية ، فإن استخدام التكنولوجيا الرقمية في ممارساتنا التربوية الليبية ، خاصة فيما يتعلق بتعليم / تعلم اللغة الفرنسية كلغة أجنبية ، سيشكل قدرًا أساسيًا في دعم معلمينا المستقبليين، كما تتيح تكنولوجيا المعلومات والاتصالات للمعلمين فرصة تقديم دعم متنوع ومميز لحصص التدريس الخاصة بهم.

ومع ذلك ، فلن يتم الاستفادة من مزايا تكنولوجيا المعلومات والاتصالات إلا عندما يتم مواكبة البحث العلمي في هذا المجال ومراقبة التطورات المتسارعة فيه ودمج هذه الأداة في المشروع التعليمي لتدريب مدرّبي اللغة الفرنسية كلغة أجنبية في الجامعات الليبية مما يسمح لكل متعلم / معلم مستقبلي بتطوير مهاراته الضرورية ومتابعة التكوين الذاتي المستمر.

وفي الواقع ، إن الاهتمام باستخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في السياق الجامعي ودورها في التحفيز ونجاح عملية التعلم والتدريب على حد سواء قد ولد عندما بدأنا التدريس في أقسام اللغة الفرنسية في جامعة عمر المختار، بعد أن لاحظنا قلة الدافع إن لم يكن انعدامه لدى الكثير من الطلاب في محاضرات اللغة الفرنسية. وهكذا ، بدأنا بالاهتمام بجميع الوسائل التعليمية والبحثية والتكنولوجية التي يمكن أن تدعم التحفيز بين المتعلمين في تعلم اللغة الفرنسية ومن هنا جاءت فكرة ترجمة هذه المقالة للاستفادة من نتائجها وتوصياتها ومقترحاتها في تطوير عملية تعلم وتدريب اللغة الفرنسية في جامعاتنا الليبية.

الإنترنت آخذٌ في التطور بشكل سريع، وذلك بالانتقال من الشبكة 0.1 إلى الشبكة 0.2 (وحتى إلى الشبكة 0.3، بالنسبة للبعض). ومع ظهور الإطار الأوروبي المرجعي المشترك للغات، تشهد سياسات طرق تدريس اللغات تغييرا كبيرا أبرزها التحول من النهج الاتصالي إلى المنظور العملي الموجه نحو العمل. فهل يتعلق الأمر بمجرد تقارب بسيط أو بتغييرات مرتبطة بمجتمع يتغير بشكل سريع؟ في جميع الأحوال هو تشابه واضح وجلي بين تطور الشبكة 0.2 المعروفة غالبًا بالشبكة التشاركية أو الشبكة الاجتماعية التي تسمح لمستخدمي الإنترنت بأن يتعاونوا على تصميم المواقع الإلكترونية بطريقة مشتركة، كما تمكنهم أيضًا من التفاعل فيما بينهم والتشارك في تحديد المفاهيم هذا من جهة، ومن جهة أخرى تفسح المجال أمام ظهور طرق تدريس لغات تسلط الضوء على التفاعل والتفاعل المشترك وقادرة على أن تُبقي على المتعلم كفاعل اجتماعي³.

واعتمادًا على تحليل ضوابط أنواع المهام الاتصالية المقترحة في الإطار الأوروبي المرجعي المشترك للغات، نعرف في مقالنا هذا مفهوم النهج التفاعلي المشترك بأنه ذلك النهج الذي يركز على مبدأ وجوب أن يكون أي عمل محددًا ومعرفًا في المقام الأول وفق التفاعلات الاجتماعية التي يحدث في إطارها ويشمل اقتراح مهام على المتعلمين متأصلة بشكل كبير جدًا في واقع الحياة اليومية. ثم نعرض كيف أن الشبكة 0.2 تكون بطبيعتها فضاءً مميّزاً لتنفيذ هذا النهج ونختم بالتطرق إلى ما يمكن أن يحدثه هذا النهج من تغيير في الوضع التربوي والتعليمي من جهة، وبعرض مشروع Babelweb الذي أنشئ على الإنترنت للمساعدة على تنفيذ النهج العملي المشترك سعيًا إلى تحقيق "طرق تدريس خفية للغات" من جهة أخرى.

1. المهام الاتصالية وغياب تأصيلها في الحياة الواقعية

يظل مبدأ تأصيل المهام الاتصالية في الحياة اليومية مستبعدًا إلى حد كبير في أدبيات الإطار الأوروبي المرجعي المشترك للغات، ففي فصله السابع المخصص لتعريف المهمة الاتصالية، يعترف هذا الإطار بنوعين أساسيين من المهام :

- المهام "المستهدفة" أو مهام "التكرار" أو تلك "القريبة من الحياة اليومية" التي يتم اختيارها وفق حاجات المتعلم خارج الفصل الدراسي، سواء في المجالات الشخصية أو العامة أو في المجالات المتعلقة بحاجات مهنية أو تربوية على وجه التحديد،

³ يوضح Christian Puren (« Variations sur la perspective... », 2009، ص. 13) هذا التشابه بأنه كروية المواطن في « قدرته على المشاركة بكل حيوية في جميع المجالات ».

ملحوظة : نحن [الباحث] نشير إلى النسخة الطويلة المنشورة على موقع مجلة Français dans le monde. اما النسخة المقتضبة - وهي لا تحوي هذا الاقتباس - فمضمنة في عدد شهر يناير 2009 مجلة (Rosen) Recherches et applications (طبعة 2009).

العدد الخمسون / يناير / 2021

- المهام التربوية الاتصالية [...] البعيدة إلى حد ما عن الحياة اليومية وعن حاجات المتعلمين [والتى] تسعى إلى تنمية الكفاءة الاتصالية [وترتكز على] لعبة التظاهر المقبولة طواعية⁴.

فالبرغم من عدم معارضته بين المهام " الحقيقية " والمهام " التربوية " يُلاحظ عند قراءة هذا التصنيف أن الإطار الأوروبي المرجعي المشترك للغات لم ينص في واقع الحال إلا على "مهام قريبة" وعلى "مهام بعيدة نوعًا ما" من الحياة اليومية وأن كلمة "حقيقية" يقابلها في النسخة الإنجليزية "reflecting real-life use". وعليه فإن الإطار الأوروبي المرجعي المشترك للغات لا يتضمن بجلاء مهام اتصالية مرسخة في الحياة اليومية. فوحدها الفئة الفرعية من « المهام الوسيطة والاتصالية المساعدة مثل التبادل اللغوي أثناء إنجاز المهمة واللغة المستخدمة لتنفيذها على أكمل وجه »⁵ تبدو متأصلة في الحياة اليومية لأنها متصلة مباشرة بنشاط التعلم الذي يقع هو نفسه في خضم الحياة اليومية، ولكن هذه المهام لا تمثل لمعدّي الإطار الأوروبي المرجعي المشترك للغات إلا خطوات وسيطة. ويقترن عدم الإشارة إلى ترسيخ المهام الاتصالية في الحياة اليومية مع نفس فكرة المنظور الكامنة وراء طرق تدريس اللغات التي ينادي بها هذا الإطار.

2. المنظور : دفع الواقع نحو المستقبل

تكمّن فكرة المنظور في الدفع بمهام الحياة اليومية باتجاه المستقبل. ويخلص كريستيان بورين، محدّدًا الأهداف الاجتماعية للعديد من المناهج المتعاقبة، إلى أنه في إطار مبدأ المنظور العملي الموجه للسلوك « سيؤخذ في الاعتبار وجوب إعداد⁶ كل تلميذ لأن يتلقى جزءًا من تعليمه بلغة أجنبية، وأن يستكمل بعضًا من دراسته الجامعية في الخارج، وأن ينجز قدرًا من مسيرته المهنية في بلد أجنبي⁷»، وحتى بلغة أجنبية في بلده الأم. فالمنظور العملي الموجه للسلوك يهيئ في مجمله إلى التفاعل مع الآخرين في الحياة اليومية ويسعى لأن يكون المواطنون الأوروبيون أكفاء لإنجاز - مجتمعين - مهام اتصالية لا تقتصر بالضرورة على المهام اللغوية فقط، بل يتعداها إلى أن يكونوا قادرين على الدراسة، والعمل... والعيش ضمن سياقات لغوية متنوعة.

كما تهدف فكرة المنظور في الأساس إلى التهيؤ للتفاعل في الحياة اليومية، وتقترح في هذا الصدد مجموعة من المهام التربوية والمهام القريبة من واقع الحياة. ومن المؤكد أن هذا النهج في طرق تدريس اللغات يهدف لجعل المتعلم يتفاعل (في العموم مع متعلمين آخرين)، حول مهام شبيهة بتلك التي يتطلب منه القيام بها مستقبلاً، بمعنى آخر مهام تمثل في الواقع "انعكاساً" للحياة اليومية ("reflecting real-life use").

نحن لا ننوي التقليل من قيمة هذا النهج والذي يبدو أمرًا لا غنى عنه، ولكننا نود إيضاح حدود نهج تدريسي للغات قد يقتصر على التفاعل ضمن هذا المنظور ويساهم في تطوير ما نطلق عليه النهج العملي المشترك.

⁴ CECR, 2000, P. 121.

⁵ CECR, 2000, P. 121.

⁶ نحن من أشار هنا (الباحث)

⁷ Puren C., « Variations sur la perspective... », 2009.

العدد الخمسون / يناير / 2021

1.2. حدود المنظور العملي الموجه للسلوك - من أجل نصح عملي تعاوني مشترك

وفي غياب الإشارة إلى المهام المتأصلة في الحياة اليومية يكمن أحد الحدود الأكثر حساسية للمنظور العملي الموجه الذي يتبنى مبدأ المهام "القريبة من الحياة اليومية" و"المهام التدريسية" ويعطي بالتالي الأفضلية لأحد العوامل الأساسية لأي عمل كان، ألا وهو القيود العلائقية التي تحكم هذا العمل. وبالتالي، فإن هذه القيود ضرورية لأنها، كما يذكرنا بذلك كريستيان براسك و نيقولا قريقوري⁸ في مقالهما حول القيام بمشاريع تربوية بالحديث عن " سلوكيات إنسانية " (والتي تُفهم في هذا المقام بمعنى الأعمال)، " يجب اعتبارها أنشطة سياقية في مواقف حقيقية وعملية مشتركة ". فالعمل الاجتماعي المشترك هو من يحدد الإطار لكل عملية تفاعل ويرسم حدودها في المقام الأول. وقد تحدث هذه التفاعلات على عدة مستويات، فالمخطط الآتي والمثال الحي الذي سنسقيه لاحقاً من شأنهما توضيح مفهوم هذا التفاعل وكذلك مفهوم المشاركة الفعالة. وسنضم صوتنا إلى صوت كريستيان بورن⁹ في الحديث عن العمل المشترك بالقدر الذي يشارك فيه أكثر من شخص في عملية تفاعل واحدة ويسعون من خلالها إلى تحقيق نفس الهدف.

فأي عمل مشترك وكل عملية تفاعل¹⁰ تتم على الأرجح في لعبة تفاعل اجتماعي مشترك محددة وعلى أكثر من مستوى: المستوى الداخلي للمتفاعلين وربما مستوى خارجي مكون من متلقي ناتج عملية التفاعل المشترك هذه. ويحدد المستوى الأول، وهو التفاعلات الاجتماعية داخل مجموعة المتفاعلين، بشكل واسع الطريقة التي يتم بها تفاعلهم المشترك. فيمكن أن يتعلق الأمر بالتفاعلات الصريحة والواضحة (كعلاقة المستخدم بالمستخدم) أو بالتفاعلات الضمنية والكامنة (كغالبية التفاعلات الاجتماعية). ولإدراك أهمية التفاعلات الاجتماعية داخل مجموعة من المتفاعلين يكفي أن نكون قد عملنا ولو مرة واحدة ضمن فريق ما لإنجاز مشروع معين.

فطالما أن ناتج عملية التفاعل المشترك غير موجه لأعضاء المجموعة المتعاونة، فإن هؤلاء سيتصرفون تحت قيد علائقي مزدوج: القيد الداخلي والقيد الخارجي على المجموعة. فيجب أن يكون تفاعلهم متناغماً مع العلاقات فيما بينهم ومع العلاقة التي تجمع المجموعة مع متلقي ناتج عملية التفاعل المشترك سواء تعلق الأمر هنا أيضاً بعلاقة صريحة ومباشرة (زبون / مزود خدمة، على سبيل المثال) أو علاقة غير صريحة وغير مباشرة. وتحدد هذه العلاقة بشكل كبير التفاعل المشترك والاتصالات بين المتفاعلين والمستقبلين. وإجمالاً للقول، قمنا وبواسطة سهم مزدوج منقط بتجسيد التفاعلات بين المستقبلين إذا ما كون هؤلاء مجموعة واحدة.

ويمكن لمستقبل ناتج عملية التفاعل المشترك المشاركة، في بعض الحالات، في تحقيق وإنجاز هذا الناتج. فالزبون، على سبيل المثال، يساهم في مسار المشروع عن طريق المواصفات الأصلية.

فلنضرب مثلاً ملموساً لتوضيح مفهوم التفاعل المشترك هذا لعملية المشاركة التفاعلية. مجموعة أشخاص (جمعية ما على سبيل المثال) تطلب من وكالة سياحية تنظيم رحلتها السنوية. ستنشأ هنا وبشكل ذاتي علاقة زبون / مزود خدمة وكذلك تفاعل

⁸ Brassac C. et Grégory N., 2000, p.5.

⁹ Puren C., « Variations sur la perspective... », 2009.

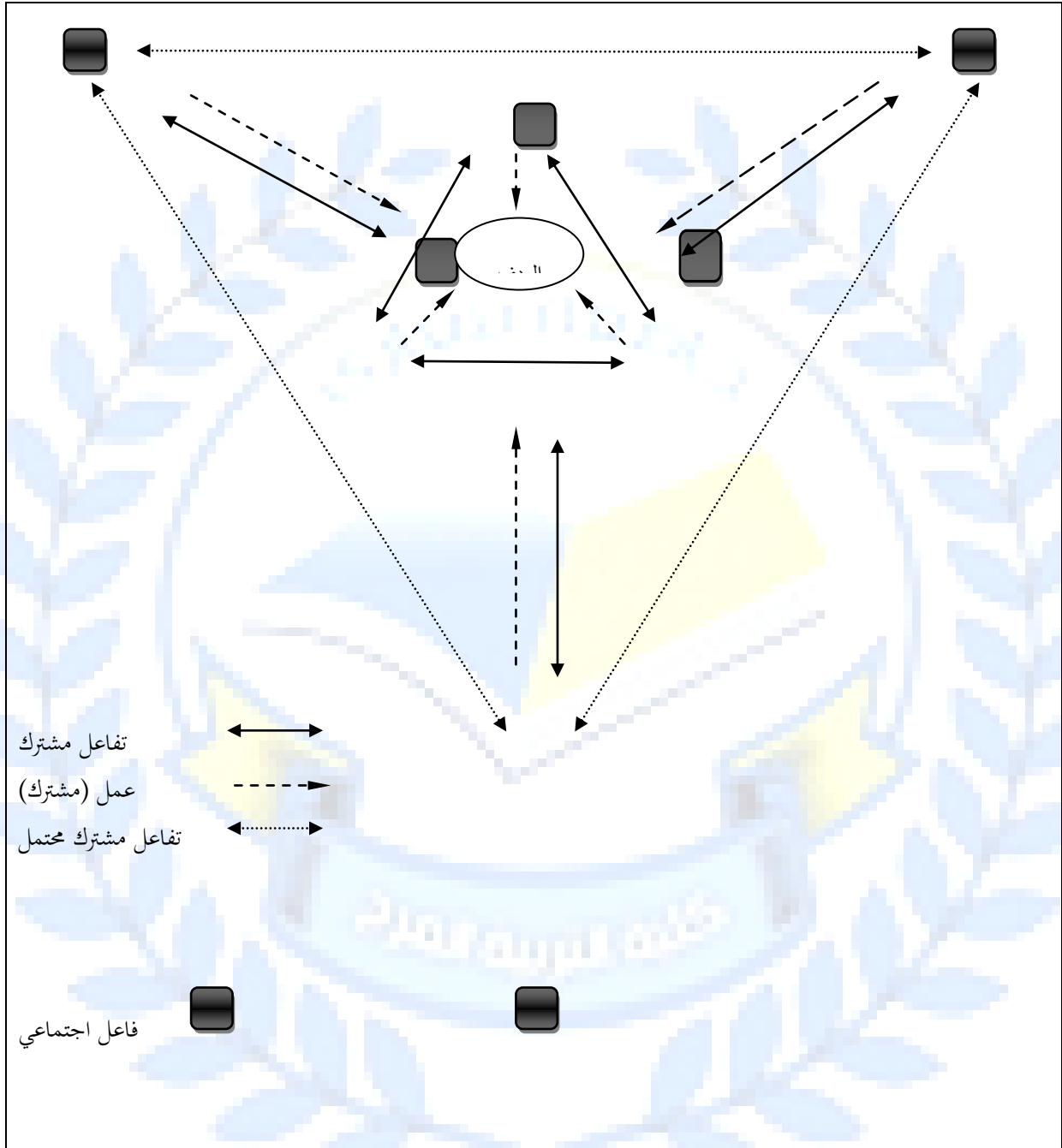
¹⁰ في حالة التفاعل الفردي يكون التفاعل الاجتماعي مع المتلقي هو من يحدد ذلك حصرياً. ويلاحظ أن حتى في حالة من التفاعل يكون نتاجها موجهاً للشخص المتفاعل نفسه، أي عندما يتفاعل الشخص مع نفسه، فإن طبيعة علاقته مع ذاته هي التي تؤثر أيضاً وإلى حد ما على طريقة تحقيق هذا التفاعل. (الباحث)

العدد الخمسون / يناير / 2021

مشترك مؤسسًا لعدة قواعد تنظم هذا التفاعل : يقوم موظف الوكالة بما في جهده خدمة للزبون، ويتعهد له بتقديم خدمة ذات جودة عالية ويهدف بذلك إلى إرضائه آملًا في الإبقاء على استمرارية حالة التفاعل المشترك هذه معه (للقيام بأعمال مستقبلية). كما يجب أن تحترم عملية التواصل مع الزبون العديد من المعايير والضوابط - كقواعد اللطافة والتأدب على سبيل المثال. ويأتي نتاج هذا التفاعل في بداية الأمر على شاكلة مقترح مبدئي لبرنامج الرحلة، وإذا حظى هذا المقترح بموافقة الزبون، فسيُشرع في تنفيذ البرنامج مع الأخذ بعين الاعتبار إدخال تعديلات الزبون المحتملة عليه. والهدف هنا ذو شقين، شق تفاعلي : تصميم برنامج ومن ثم تنفيذه، وشق تفاعلي مشترك : إرضاء الزبون بهدف استمرارية محتملة للتفاعل المشترك على هيئة عقود جديدة، ومن البديهي أن السعي لتحقيق الهدف الأول يأتي في سياق الهدف الثاني، فالتفاعل خاضع للتفاعل المشترك.

وسوف يكون التفاعل المشترك داخل مجموعة العمل الواحدة محددًا بشكل كبير بتطلعات الزبون من جهة، ومن جهة أخرى بشخصيته وعلاقته مع الشركة، وعلاقته الشخصية المحتملة مع عضو من أعضاء الفريق أو مع مسئول الوكالة السياحية، إلخ. وأيضًا بالعلاقات الاجتماعية الموجودة داخل المجموعة : التوترات المحتملة والعلاقات التسلسلية والتراتبية أو الأقدمية وتوافق أو عدم توافق المزاج... ويتم التفاعل المشترك بأجمله وفق القيد العلائقي.





نموذج 1 : الأعمال والتفاعلات المشتركة لتحقيق مهمة معينة

العدد الخمسون / يناير / 2021

فلنطبق الآن هذا النموذج على موقف تعليمي لتعلم اللغات لمتعلمين يتهيؤون لممارسة مهن في مجال السياحة والذين كان قد طلب منهم تنظيم رحلة لمجموعة معينة تم وصفها بدقة في تعليمات وإرشادات التمرين. ويتعلق الأمر هنا بمهمة قريبة من الحياة اليومية بما يتوافق مع احتياجات ومتطلبات المهنة المحتملة مستقبلاً. وهذه المهمة الاتصالية المزمع القيام بها هي عبارة عن مشروع مشترك يؤدي إلى عمل مشترك وتعاوني داخل فريق من المتعلمين المشاركين في هذه المهمة. وينشأ هذا التعاون نفسه تحت مبدأ القيد العلائقي الذي يجمع المعلمين فيما بينهم. ويمكن أن تؤدي المهمة الاتصالية هذه أيضاً إلى عمل يركز على الكفاءة المعلوماتية الذي دعا إليها كريستيان بورين¹¹ كونها تتطلب مجهود بحثي، ونشاط تقييمي ومعالجة معلوماتية. فيمكننا أن نفترض أنه في بعض الحالات يختتم العمل بعرض وتقديم شفوي وفي حالات أخرى بإعداد كتيب أو ملف يحتوي تقريباً على ما ينتجه موظفو السياحة بهدف تقديمه لزبائنهم. والفرق بين الحياة الواقعية والموقف التربوي والتعليمي هو أن هذا العمل الاتصالي للمنتج لا يتم مع المستقبل الحقيقي لهذا المنتج، فلا يوجد أثناء إنجاز المهمة أي مصلحة اجتماعية (ولا مالية) حقيقية تدفع أي عضو من أعضاء الفريق أن يحتفظ في ذاكرته بالعلاقات الاجتماعية التي ينتمي إليها.

وفي الموقف التعليمي اللغوي يدرك المتعلم جيداً أنه تتم محاكاة الزبون، وأن التفاعل بينه وبين الزبون تفاعل خيالي وأن المستند المراد إنتاجه من خلال الدرس اللغوي هو الهدف النهائي للعمل، فبمجرد أن ينجزه المتعلمون سينتهي به الأمر في الحافظة اللغوية الخاصة بهم (ويمكن لهذا المستند أن يترسخ في الحياة الواقعية إذا ما عُرضت هذه الحافظة على المستخدمين المستقبليين) ومع ذلك ، يتم إعادته في معظم الحالات إلى المعلم لتقييمه، وتتوقف رحلة المستند في الموقف اللغوي عند هذه النقطة أو يتجاوزها بقليل. بيد أن في الحياة الواقعية لن يكون المستند الذي تم إنتاجه إلا في منتصف رحلته وذلك لإنتاجه من منظور مختلف، فمن الممكن تسليمه للزبون المعني الذي قد يقيمه حسب معايير الخاصة وذلك بقبول أو رفض العرض أو بالمطالبة بإدخال بعض التعديلات عليه، وقد يحدث التقييم في نهاية المطاف على خطوتين، الأولى الموافقة أو عدمها على العرض الذي من الممكن أن يُعدّل إذا لزم الأمر بعد مناقشات مع الزبون - وفي حالة الموافقة عليه - ووفق المسار الجيد للرحلة وأيضاً وبشكل أساسي وكما أسلفنا وحسب رضا الزبون التام ، والثانية استمرارية العلاقات التجارية المباشرة وغير المباشرة من عدمها بتزكية المنتج والثناء عليه.

وتركز أغلب المهام الاتصالية المقترحة في المناهج القريبة جداً من "المنظور العملي الموجه للسلوك" على العمل المشترك ضمن مجموعة المتعلمين وتظل حبيسة المحاكاة طالما أن نتاجها غير موجه للمجموعة ذاتها. وهذا أمر مفهوم وربما ضروري للغاية، ولكنه يتغاضى غالباً عن جزئية محورية في العمل المشترك وهي التفاعلات الاجتماعية الداخلية والخارجية التي يحدث في إطارها. فنحن لا ندعو إلى تطبيق دائم لطرق تدريس لغات تبني مبدأ "التصرف بشكل حقيقي" باقتراح مهام اتصالية تكون جزءاً من التفاعلات الاجتماعية الحقيقية، ولكننا ندافع عن الفكرة التي تقتضي بضرورة أن تشكل المهام الاتصالية الموجودة في الحياة الواقعية جزءاً لا يتجزأ من كل درس لغوي. كما ندرك في الحقيقة ضرورة أن يُسمح للمتعلم أن يحاكي ويتصرف بأمان داخل فضاء يمنحه هامشاً واسعاً للخطأ، ولكن إذا نقصد بالفعل تكوين المتعلمين لغرض التعاون المشترك في الحياة الواقعية، فإنه سيكون من الأهمية بمكان أن نقترح عليهم مهاماً اتصالية حقيقية تتم في إطار تفاعلات اجتماعية حقيقية ومتنوعة على جميع المستويات. وسنلقي فيما يلي المزيد من الضوء على النتائج الإيجابية لتطبيق مثل هذا النهج التفاعلي.

¹¹ Puren C., « Les implications de la perspective... », 2009.

العدد الخمسون / يناير / 2021

ونرى أنه من الضروري إضافة منهج للتفاعل المشترك لتعليم وتعلم اللغات يتيح الفرصة للمتعلم بأن يكون فاعلاً اجتماعياً حقيقياً وأن يتصرف ويتواصل بشكل كامل وتُدرج هذه الفكرة في تعريف المنظور العملي الموجه للسلوك الذي يشير إلى أهمية السياق الاجتماعي في الأنشطة والأفعال :

والمنظور المفضل هنا ذو طبيعة عملية كونه يعتبر في المقام الأول كل مستخدم للغة ما ومتعلمها فاعلين اجتماعيين متعين عليهما إنجاز مهام اتصالية معينة (ليست لغوية فقط) في ظروف وبيئة محددة وداخل مجال عمل خاص. فإذا ما كانت الممارسات الكلامية تتم ضمن أنشطة لغوية تعتبر هي نفسها جزءاً من الأعمال الاجتماعية فإن هذه الأخيرة هي وحدها من يضيفي إلى هذه الممارسات دلالاتها ومعانيها.¹²

إلا أن هذه الفكرة ، فيما يبدو، لم يتم تصورها حتى النهاية عندما تعلق الأمر بتعريف المهام الاتصالية بشكل أكثر دقة. لقد ركزنا على العمل بمفهومه الواسع، وسنوضح الآن أن كل استخدام للغة - التي تُعتبر هي نفسها عملٌ مشترك - محدد هو أيضاً بالتفاعلات الاجتماعية التي يجري ضمنها وأن اللجوء إلى محاكاة هذه التفاعلات يقود إلى تشويه استخدام اللغة الكامنة في أغلب المهام الاتصالية المقترحة داخل الصف التعليمي للغة.

2.2. التواصل عمل مشترك وفق قيود علائقية

يعتبر فلاسفة اللغة أن استخدام اللغة هو عبارة عن عمل مشترك مقيد بقيود علائقية¹³. وبالتالي، وحسب أيريك قريلو، فإن الاتصال هو " الحديث مع شخص ما عن شيء ما "14، وبعبارة أخرى، الاتصال هو التعامل مع شخص ما للمشاركة في بناء معانٍ معينة في سياق اجتماعي متبادل معين. ويشكك هذا الطرح في نموذج شانون و ويفر للاتصال والذي تبناه بشكل واسع آباء نظرية ممارسات الكلام والذي يركز عليه وبقدر كبير المنهج التواصلية في تعليم اللغات.

رسالة ← مرسل - تشفير ← إشارة منقولة عبر قناة ← متلقي - فك التشفير ← رسالة

نموذج رقم 2 : نموذج شانون و ويفر للاتصال

صُمم هذا النموذج حسب منظور توجيهي ومختزل للغاية : ومكان المستلم - وغالباً ما يُسمى بالمتلقي على غرار متلقي الابراق الذي يفك تشفير الإشارات التي يستلمها لإعادة إنتاج رسالة المرسل المشفرة بكل أمانة - في هذا النموذج صغير جداً ويُحدد دوره في إعادة بناء المعنى الذي يقصده المتكلم. وهذا التصور لعملية الاتصال ينبع لدى المتكلم من أنه يجب على المتلقي أن يبذل جهده لفهم المقصود من القول كما قيل. ففي مثل كهذا نموذج، يُحتفظ بالاتصال اللغوي عن طريق النقل البسيط لمعنى معين مُنتج بشكل أحادي من قبل متكلم مسيطر.

أما النماذج المعتمدة على مبدأ العمل المشترك تطرح فكرة أن المعنى هو نتاج تفاعل مشترك بين المتحدثين شريكى الاتصال في بلورة الدلالة. فالمتحدث الذي يُصدر عبارة معينة لا يتحكم في ما تقول إليه عبارته هذه التي تحمل دلالة محتملة لن يتم تأكيدها

CECR, 2000, P. 15.¹²

Jacques F., 1985 et surtout Grillo E., 2000¹³

Grillo E., 2000, p. 63¹⁴

العدد الخمسون / يناير / 2021

إلا باللقاء مع شريك آخر لإبراز معنىً مشتركاً لن يكون بالضروري ذلك المعنى الذي قصده المتحدث، على افتراض أن هذا الأخير يدرك دوماً ما يقصده.¹⁵

ويعني أيريك فيرلو إلى أبعاد من ذلك، فيضع التفاعلات الاجتماعية في المقام الأول لأي عملية اتصالية مُعتبرة كـ"ممارسة" (معنى حدث وليس ممارسة كلامية)؛ ويطرح - وهنا تكمن الفكرة الأساسية - أن العلاقة الاجتماعية هي ما يُحدد الممارسات وحتى النوايا الكامنة وراء حدوث عملية التواصل:

وللنظر إليها عن كثب، سيتبين أن مهارات التواصل [...] تتطلب مراراً وتكراراً وقبل أي شيء كفاءة تواصلية تضمن ملائمة الممارسات أو الأعمال المنجزة فيما يتعلق بالعلاقة المفروضة والتي من خلالها يتضح جلياً أن تحديد وتخصيص المعنى يتم هو أيضاً تحت قيود علائقية.¹⁶

إذاً وراء كل عملية اتصالية هناك علاقة اجتماعية ونية وقصد، وأن هذه العلاقة هي من تحدد استخدام اللغة والقصد من ورائه. إجمالاً، يعني الاتصال التعامل المشترك وفق تفاعل اجتماعي معين.

في هذه الأثناء نتقل إلى شرح كيف تقود محاكاة الشريك في العملية الاتصالية إلى تشويه العمل وانحرافه وكذلك استخدام اللغة فيه، هذه المحاكاة التي مورست ولفترة طويلة وبشكل مكثف بواسطة المنهج الاتصالي ولا زالت تُمارس حتى اليوم في العديد من المهام الاتصالية في إطار مبدأ ومنهج العمل الموجه للسلوك.

فإذا ما كان شريك العملية الاتصالية مُحاكياً، سيتوجه المعلم - عموماً - إلى المعلم وكأنه متوجهاً إلى شخص آخر، خاصة إذا ما كان المنتج مقيماً بواسطة المعلم نفسه.

ولتوضيح وجهة نظرنا، سنقوم بدراسة تعليمات وإرشادات التمرين المقترحة علي الشبكة في مثال لامتحان نتاج كتابي للمستوى A1 لشهادة دراسة اللغة الفرنسية (DELF) كما وردت في مجلد الامتحانات القياسية المنشور بواسطة المجلس الأوروبي¹⁷: « أنت في إجازة قم بإرسال بطاقة بريدية صغيرة لصديق في فرنسا وأخبره فيها عن الطقس وعن أنشطتك وحدد له تاريخ عودتك. (40 إلى 50 كلمة) »¹⁸.

كما أن تعليمات وإرشادات هذا التمرين مصحوبة بتوضيح الجزء المخصص لكتابة نص بطاقة بريدية موجهة لشخص ما يدعى السيد جان ديلابيير والذي يقطن في 3، شارع جاردان بوبليك، 16100 مدينة كونياك. وتضع تعليمات التمرين النشاط اللغوي المخصص للنتاج في مركز النشاط، كما تشير إلى أي نوع من المعلومات يجب إبرازها على البطاقة، وتؤكد وجود علاقة ودية مع شخص ما ذكر اسمه وعنوانه، محددة في نهاية المطاف عدد الكلمات المطلوبة. هذه التعليمات بعيدة جداً عن مفهومنا للعمل وللالاتصال كما يتضح جلياً أن الجانب اللغوي يشكل الشغل الشاغل للمعلم الذي وضع هذا التمرين.

¹⁵ سنجد عند Christian Brassac و Nicolas Grégori (2000، ص. 5) مثلاً بسيطاً مركباً من أربعة مقاطع يوضح كيف لعبارة واحدة (« لديك الهاتف هنا ») قالها رجل في أسفل عمارة السيدة التي أهلها للتو إلى بيتها يمكن أن تعطي مجالاً للمشاركة في تكوين معان مختلفة للعبارة. (الباحث)

¹⁶ Grillo E., 2000, p. 257

¹⁷ نود هنا الايضاح قليلاً: لا يتعلق الأمر بانتقاد هذا النشاط، ولكن توضيح أنه إذا ما افترضنا هذا النوع من الأنشطة، انعكاسات طفيفة للحياة الواقعية، فإننا لن نتعلم كيف نتواصل ولا كيف نتعامل ولا حتى كيف نتشارك في التعامل. (الباحث).

¹⁸ (Conseil de l'Europe, nd : 72)

العدد الخمسون / يناير / 2021

أين هذا منّا في الحياة الواقعية؟ فلكتابه بطاقة بريدية، هناك حقاً تحديداً لعدد الكلمات، ولكن ما يحدد ذلك هو حجم البطاقة البريدية نفسها ونوعية خط من يكتبها. فكتاب البطاقة هذا يقوم باختيار المعلومات المراد إيصالها بحسب الشخص المستقبل أو الطقس الاجتماعي للبطاقة البريدية نفسها. فخلف كتابة هذه البطاقة هناك قصد ونية: من الممكن أن يكون القصد هو إيصال معلومات، ولكن في غالب الأحيان، يتعلق الأمر بالحفاظ على الروابط الاجتماعية، فالمعلومات تؤدي هنا دوراً ثانوياً؛ إذاً يتعلق الأمر هنا بالتلميح إلى أنه بالرغم من البعد، فإن مستلم هذه البطاقة حاضر في الذهن.

في مثال DELF السالف ذكره انصب التركيز على نقل المعلومات. ولكي نعيد وضع النشاط في سياق اجتماعي معين، نطرح محاكاة مبهمة لتفاعل اجتماعي مع متلق مجهول لمتعلمين يدرك كل واحد منهم المعنى الفضفاض جداً لكلمة صديق، كما لا توجد أي إشارة إلى ذكر نية وقصد محرر البطاقة البريدية في أي جزء من أجزائها بالرغم من أهمية هذا العنصر وبالطبع بالإمكان الحديث ربما عن الطقس وعن الأنشطة ولكن هذا ليس أساسياً وكان من الممكن الحديث عن شيء آخر دون أن يكون المعنى الحقيقي مختلفاً حقاً.

فلنحاول رؤية ماذا سيحدث في الموقف التعليمي - خاصة إذا ما كانت محصلته مقيمة من قبل المعلم. ربما سيذهب تفكير بعض المتعلمين تجاه صديق محدد وسيكتبون كما لو كانوا يرسلون هذا الشخص، ولكن فلنراهن على أن هؤلاء يشكلون أقلية داخل المجموعة. وفي نهاية المطاف، يكتب المتعلم متوجهاً إلى المعلم بالتظاهر بأنه - أي المتعلم - موجود في إجازة وبأنه يكتب إلى جان ديلابيير، لأنه فهم جيداً بأن الأمر يتعلق في الواقع بتمرين لغوي ليس له قارئ آخر سوى المعلم. إذاً سيتساءل المتعلم عما يعنيه المعلم بكلمة "صداقة" وبعبارة "بطاقة بريدية موجهة لصديق". ولاستخدام ما كتبه أيريك كيريلو، فإن المتعلم بالكتابة إلى معلمه وقارئة الوحيد يتصرف بما ينسجم إلى حد ما بالعلاقة المفروضة بينه وبين معلمه. بالتالي فإن المتعلم ليس مطالباً بالتواصل باعتباره فرداً في إطار محدد بعلاقة صداقة حقيقية، ولكن باعتباره متعلم يكتب إلى معلمه ليبي ضوابط (اجتماعية) محاكاة ومحددة من قبل هذا الأخير. وطالما أننا نقترح على المتعلمين إنجاز مهام اتصالية غير متأصلة في الحياة الواقعية، فسيمكننا بالتأكيد أن نجعلهم يتصرفون مع أقرانهم في ظل القيود العلائقية التي توحدهم مع بعضهم البعض، ولكن هذا سيقبل في نهاية الأمر من درجات التنوع.

فإذا ما أردنا، مع ذلك، إعداد المتعلم ليكون حقاً فاعلاً اجتماعياً كفاء، سيتحتم علينا منحه فرصة المشاركة والتواصل مع أشخاص مختلفين عبر علاقات تبادلية شخصية متنوعة وحقيقية. ولا يتأتى هذا إلا بالإصرار على جلب منهج العمل المشترك الذي ندعمه إلى منهج العمل الموجه للسلوك.

أن تقترح منهجاً أو مبدأً هذا شيء، وأن تبين إمكانية تنفيذه واحتوائه على الكثير من المزايا هذا شيء آخر يجب أن يكون في نظرنا مصاحباً للمنهج المقترح. فما نقصد توضيحه هو أن شبكة التواصل الاجتماعي 0.2 هي عبارة عن فضاء مميز - حتى وإن كان من الممكن تنفيذ منهج العمل المشترك بدونها - يسمح بالتفاعلات (المشتركة) وفق قيود علائقية فعلية وأن العمل على هذه المنصة يقدم نقاط قوة لا يمكن إهمالها. ولكن قبل ذلك، وكما وضعنا حدود المهام الاتصالية المستهدفة من قبل الإطار الأوروبي المرجعي المشترك للغات، سنتوقف أمام مسألة ضعف تواجد الإنترنت في أطروحات هذا الإطار.

العدد الخمسون / يناير / 2021

3.2 دور باهت للإنترنت في الإطار الأوروبي المرجعي المشترك للغات

على الرغم من وجود الإنترنت في الحياة اليومية واهتمام وزارات التعليم في البلدان الأوروبية به حيث أطلقت عام 1997 - ضمن جملة من مشاريعها - مشروع المدرسة الأوروبية الافتراضية ضمن إطار شبكة المدرسة الأوروبية¹⁹ ، وذلك لتطوير استخدام الإنترنت في الفاعليات المدرسية، إلا أن الإنترنت يعتبر شبه غائب في كتاب الإطار الأوروبي المرجعي المشترك للغات المنشور عام 2000، والذي لم يُشر فيه إلا على استحياء للإنترنت كعنصر يستوجب دمج في طرق تدريس اللغات. فبالرغم أن مُعدي هذا الكتاب يعكسون في فصله الأول - الذي يضع الإطار الأوروبي في سياقه السياسي والتربوي - اهتمامات وزارات التعليم، فإنهم يشيرون إلى أن :

اللجنة الوزارية قد شددت على « الأهمية السياسية حاضراً ومستقبلاً لتطوير مجالات العمل الخاصة مثل استراتيجيات تنويع وتكثيف تعليم اللغات من أجل تنمية التعددية اللغوية في عموم أوروبا » ولفتت الانتباه إلى قيمة تطوير الروابط والتبادلات التربوية وكذلك إلى تسخير كافة الإمكانيات في مجال تقنية المعلومات والاتصال.²⁰

لهذا كنا نتوقع أن نجد في متن الكتاب توصيات بضرورة دمج ومساهمة التقنيات الحديثة في منهج عملي موجه للسلوك لتعليم وتعلم اللغات، بيد أن التذكير بالدعوة الوزارية يظل بمثابة إعلان مبادئ لأن الإطار الأوروبي لم يُشر إلى التقنيات الحديثة بشكل عام إلا في مواضع قليلة لكي لا نقول نادرة.

ومن بين الوسائط الداعمة، يشير الإطار الأوروبي إلى « الحواسيب، والبريد الإلكتروني والأقراص المدمجة، الخ. »، ويشار إلى البريد الإلكتروني عندما يتعلق الأمر بإعداد قوائم للأنشطة الكتابية التفاعلية المشتركة وعندما يتطرق هذا الإطار إلى أنشطة التلقي السمعي البصري، فإنه يحرص ثلاثة أنشطة خاصة منها « استعمال التقنيات الحديثة كالوسائط المتعددة والأقراص المدمجة.²¹ ونجد إشارة أخرى إلى التقنيات الحديثة وذلك في تعريف المهارات الإرشادية (مهارات الاكتشاف) فيحدد الإطار الأوروبي ذلك بأنه يتعلق بكفاءة المتعلم وقدرته على « استخدام التقنيات الحديثة (على سبيل المثال، قواعد البيانات، النصوص الفائقة "استخدام الروابط" الخ. للبحث عن المعلومات) »²².

إذا ما استبعدنا ذكر البريد الإلكتروني كوسيلة تواصل بين الأشخاص، تظل التقنيات الحديثة في الواقع محصورة على الإنترنت في استخدام الشبكة 0.1 - وهي الشبكة الوحيدة المعروفة إبّان كتابة الإطار الأوروبي - الذي يجعل من المتصفح مجرد باحث ومتلقي للمعلومة وليس متفاعل بشكل مباشر على الإنترنت.

ومن الممكن ملاحظة ذلك بشكل كبير في مواقف وسلوكيات المعلمين حتى بعد إنشاء الشبكة 0.2. ولقد أوضحت دراسة أجريت في النمسا عام 2005 على معلمين في مراكز جامعية للغات أن أكثر الاستخدامات شيوعاً بين المعلمين المستجوبين كان يقتضي في الواقع البحث على الشبكة عن معلومات أو عن وثائق للاستفادة منها لاحقاً داخل الصف الدراسي على شكل

¹⁹ www.eun.org أغلقت المدرسة الأوروبية الافتراضية بعد بضعة أعوام، تاركة المجال لمشروع أخرى: e-Twinning. Spring Day for

Europe, etc.

²⁰ CECR, 2000, P. 11.

²¹ CECR, 2000, P. 59.

²² CECR, 2000, P. 86.

العدد الخمسون / يناير / 2021

نسخ ضوئية، فلقد كان الهدف من الإنترنت أساساً هو أن يكون مصدراً سريعاً وسهل الوصول على معلومات حقيقية²³.

وبالتالي فإن المساحة المحدودة والمخصصة للتقنيات الحديثة في الإطار الأوروبي يمكن تفسيرها بقلة الممارسات الفعلية في هذا المجال ويصدر منشورات علمية وتربوية مخصصة لاستخدام التقنيات الحديثة وخاصة الإنترنت وقت كتابة وإعداد نص هذا الإطار. فلقد أخرجت مجلة اللغة الفرنسية في العالم Le Français dans le monde عام 1997 عددًا من دورية أبحاث وتطبيقات Recherches et applications ونسقه بيير أودارت Pierre Oudart وتحت عنوان (وسائط متعددة، وشبكات، وتكوين. وأما المجلة العالمية للتربية La revue internationale d'éducation عام 1998 أصدرت تقريراً بعنوان التقنيات الحديثة. كما أخرجت المجلة الإلكترونية تعلم اللغات و أنظمة المعلومات والاتصال Apprentissage des langues et systèmes d'informations et de communication (Alsic) عام 1998 وقد تناولت بعض المساهمات العلمية بقدر يسير موضوع الإنترنت خلال السنوات الأولى من حياة الإطار الأوروبي. أما بالنسبة للمجلة الناطقة باللغة الإنجليزية Language Learning & Technology لغة، وتعلم، وتقنية، فلقد أخرجت عددها في يوليو 2007 الذي كان معنوناً بشكل معبر : Language Learning and Technology: Defining the research Agenda

في هذه الأثناء تطور الإنترنت بشكل ملحوظ وحُصِّصت العديد من المنشورات للدعوة إلى استخدامه في عمليه تعليم وتعلم اللغات، ولكن قلة من هذه الإصدارات تشدد على إمكانية وحتى على أهمية اقتراح القيام بمهام اتصالية متأصلة في الحياة الواقعية على الشبكة الاجتماعية 0.2. ومع إنهما ما انفكا يذكران بأن « اللجوء إلى التقنيات الحديثة [...] يقود في الغالب إلى القيام بما هو جديد بالحفاظ على ما هو قديم، ويرشدنا في نهاية المطاف إلى أن نلبس مناهجنا القديمة أبهى صور التكنولوجيا »، يتوقف كل من فرانسوا مانجنو وفريدريك بينيلا²⁴ عند فكرة اقتراح القيام بمهام اتصالية "محتملة التطبيق" على شبكة الإنترنت خوفاً من أن تقود الواقعية المفرطة إلى "تعريض المتعلمين للخطر"²⁵. ويبدو لنا أن هذا المسلك يحصر الدرس اللغوي بين أربعة جدران ويشكل إهدار لفرصة كبيرة للاستفادة من الثروة التقنية الهائلة. ولا يعني ما نرمي إليه - كما أشرنا سابقاً - أن نجعل من كل شيء حقيقة وواقع لأنه من الضروري الحفاظ على فضاءات آمنة للتدريب، ولكننا نقصد إدخال مبدأ "من أجل الحقيقة" في مناهج وطرق تدريس اللغات.

ومر الآن لنرى كيف يتناسب جوهر شبكة التواصل الاجتماعي 0.2 ذاته إلى حد كبير مع منهج التفاعل المشترك لتعليم وتعلم اللغات وكيف يجعل من تنفيذه أمراً يسيراً.

3. مدخل إلى شبكة التواصل الاجتماعي 0.2

ظهر مفهوم الشبكة التشاركية أو الشبكة الاجتماعية 0.2 أثناء مؤتمر عن "التفكير الإبداعي" "brainstorming" بين شركة O'Reilly Media ومجموعة MediaLive الدولية لتكنولوجيا المعلومات، وعرفته تيم أوريلي، في سبتمبر 2005

Olivier C. et alii, 2005. ²³

Mangenot F. et Oenilla F., 2009, p. 84 ²⁴

Mangenot F. et Oenilla F., 2009, p. 89 ²⁵

العدد الخمسون / يناير / 2021

في مقال له معنون بـ " ماهي الشبكة 0.2" ²⁶ - ويعتبر هذا المقال مرجعاً أساسياً في الموضوع - ويحدد هذا الأخير خمسة مبادئ أساسية لشبكة 0.2 :

- فهي منصة إلكترونية ؛
- تستغل الذكاء الجماعي ؛
- وتكمن قوتها في البيانات ؛
- وتضع حداً لوجود نسخ من الاصدارات المختلفة لمنتج واحد ؛
- وتعتمد على نماذج من البرمجيات الخفيفة.

ما يهمننا هنا هما النقطتان الأوليان كونهما معنيتين بالمستخدم، اما النقاط الثلاثة الأخيرة فهي في الغالب تميل نحو الجوانب التقنية والشركات الفاعلة في مجال الشبكة 0.2 لأن مثل ما جاء في مقال تيم أوريلي فإن هذه الشبكة كانت تسعى في المقام الأول إلى تحليل وعرض "نماذج تصميم وأعمال للجيل القادم من البرمجيات".

1.3 شبكة 0.2 كمنصة للأنشطة اللغوية

من مزايا الشبكة 0.2 أن الشركات العملاقة القائمة عليها لا تقدم منتجات، ولكنها توفر خدمات تقوم على أساسها إدارة قواعد البيانات. فشرركات أخرى وأشخاص آخرون وبشكل خاص المستخدمين هم من يرفعون البيانات على الإنترنت: معلومات على شكل نص وصور ومقاطع مرئية، على سبيل المثال. ويسوق تيم أوريلي نموذج جوجل فيقول: « لا يعتبر جوجل مجرد سلسلة من أدوات برمجية، بل قاعدة بيانات متخصصة، فبدون بيانات لا تجدي الأدوات نفعاً ؛ و بدون برمجية، تتعذر معالجة البيانات.» ²⁷ فالقيام بتحليل بعض الخدمات التي توفرها شركة جوجل سيوضح تحديداً بأن هذه الشركة لا تولد معلومات، فهي لا تقوم إلا بإدارة تلك المعلومات التي رُفعت على الإنترنت من قبل الآخرين وأن الخدمات التي يقترحها - جوجل - يمكن أن تكون دعماً لتطبيق وممارسة الأنشطة اللغوية لتكون :

- في حال التلقي: يوفر جوجل محرك بحث يتيح للمستخدمين الحصول على معلومات - غير معدة بواسطته وغير مخزنة على خوادمه - .
- في حال النتاج: يضع تحت تصرف المستخدمين خدمات تسمح بإمداد قواعد بياناته وذلك برفع معلومات جديدة أو مكررة على الشبكة: وهذا هو هدف تطبيقات المدونة الإلكترونية (تدوين الكتروني) أو المواقع (مواقع جوجل).

- في حال التفاعل مع خدمة البريد الإلكتروني جي ميل Gmail وخدمة الدردشة الآنية جي توك GTalk .
ولتصنيف خدمات جوجل، استعنا مرة أخرى بالمصطلحات المستخدمة في الإطار الأوروبي المرجعي المشترك للغات لتسمية الأنشطة اللغوية وذلك لإبراز التوازي بين الشبكة 0.2 واستخدام اللغة. ولنظرة أكثر شمولية، يتعين علينا الرجوع إلى أنشطة

²⁶ سنعتي (الباحث) مصدر هذا المرجع في قائمة المراجع واشرنا إليه في الترجمة الفرنسية المرخص لها من قبل منشورات أوريلي وهي متوفرة على العنوان التالي: www.eutech-

ssii.com/ressources/view/1.

O'Reilly T., 2005. ²⁷

العدد الخمسون / يناير / 2021

التبسيط والإشارة - على صعيد التفاعل اللغوي - إلى أن جوجل يضع تحت تصرف مستخدمي الإنترنت خدمة للترجمة (ترجمة جوجل) (Google traduction)، وأنه يوفر أيضاً - لتسهيل التفاعل اللغوي- دفترًا للملاحظات يسمح بتجميع المعلومات طوال فترة التصفح لمعالجتها لاحقاً والتواصل بها.

أن تطبيقات الشبكة 0.2 لا تسمح فقط بممارسة الأنشطة اللغوية، ولكن تسمح أيضاً بوجود واستمرارية هذه التطبيقات - وكذلك بقاء الشركات التي تنتجها - الذي يعتمد إلى حد كبير على ممارسة المستخدمين لها. فالنظام معتمد بشكل كبير على مشاركة المستخدمين لأنه لا وجود للشبكة 0.2 بدون مستخدمين نشطاء: يشير تيم أوريلي إلى أن « في عالم الشبكة 0.2، يعتبر الخراط المستخدمين في الشبكة عامل -مفتاحي لضمان الهيمنة على السوق»، بعبارة أخرى هو مفتاح النجاح والإخفاق. بيد أن ما يثير الاهتمام أكثر في عملية تنفيذ وتطبيق منهجاً للعمل المشترك هو أن الشبكة 0.2 توفر تقنيات تتيح العمل المشترك من جهة، وتتنبأ بالتفاعلات المشتركة بين المستخدمين التي تعطي بالتالي بعداً اجتماعياً كبيراً لكل عمل على الشبكة العنكبوتية من جهة أخرى.

2.3. شبكة 0.2 والعمل المشترك وفق قيود علائقية

صممت بعض المواقع الإلكترونية - والتي أصبحت مرجعاً ونموذجاً - خصيصاً بفضل مشاركات ومساهمات المستخدمين المختلفين وتعتبر ثمرة لبناء مشترك أسس بشكل كبير على التعاون بين هؤلاء المستخدمين. وأحد هذه المواقع والأكثر انتشاراً ويعتبر نموذجاً لمنهج الشبكة 0.2 هو الموسوعة التعاونية ويكيبيديا التي يتم توفير جميع محتوياتها عن طريق مستخدمي الإنترنت، ولم تضع مؤسسة ويكيبيديا تحت تصرف هؤلاء المستخدمين إلا برنامج ويكي²⁸، وهو عبارة عن برنامج كتابة وتحرير تعاوني مشترك. وتنطلق ويكيبيديا من مبدأ يفترض أن مستخدم الإنترنت يمتلك من المعلومات والمعارف ما يدعوه إلى مشاركتها مع مستخدمين آخرين يحتمل اهتمامهم بهذه المعلومات ويفترض أيضاً أن جودة هذه المعارف تأتي من العمل المشترك والتعاون بين المستخدمين. وقد صمم هذا الموقع بفضل تقنية الويكي التي تمتاز بدعمها للتعاون بين مستخدميها وتتيح لهم جميعاً إمكانية المشاركة في تحرير وكتابة المقالات بالإضافة إلى التعديل والاجتزاء والتنظيم وصياغة المعلومات بل وحتى تمكينهم من المناقشة حول النشر أيضاً²⁹.

فبالإضافة إلى توفيرها لواجهة النشر المشترك، توفر برامج الويكي، في الواقع، وظيفة التعليقات التي تتيح للكتاب المشاركين التواصل فيما بينهم أو تتيح للمستخدمين الزوار لصفحات هؤلاء الكتاب المشاركين أن يضيفوا تعليقاتهم وبذلك توفر ويكيبيديا علامة تبويب تحت اسم "مناقشة"، و على نفس المنوال تملك خدمة مستندات جوجل - التي تسمح بالعمل مع الآخرين على نفس المستندات ونشرها - وظيفة مدمجة للنقاش المتزامن لكي يتمكن الكتاب المشاركون من التفاعل فيما بينهم حول فعل الكتابة المتشاركة.

²⁸ ويترجم في لغة الحوسبة والبرمجيات والشبكات ببرامج التأليف الحر (المترجم من مما قرأ واستمع واطلع عليه).

²⁹ ونسوق هنا (الباحث) تعريف موسوعة ويكيبيديا للويكي: هو نظام لإدارة المحتوى على موقع الكتروني يأذن لكل زواره بأن يعدلوا صفحاته بكل حرية. وتستخدم أنظمة الويكي لتسهيل الكتابة التشاركية للمستندات وأدنى حد من القيود. [...] وأصل كلمة " ويكي " من مضاعفة كلمة wiki wiki في لغة هاواي والتي تعني " سريع " (نسخة 6 مايو 2009) (الباحث).

العدد الخمسون / يناير / 2021

كما يمكن للمدونات³⁰ الإلكترونية أيضًا أن تكون مجالاً للبناء التعاوني والمشاركة نظرًا لأن غالبية موفري خدمات المدونات يقترحون على من يريد إنشاء وإدارة مدونة أن يضيف مدونين مشتركين يستطيعون - وفق الحقوق المسندة إليهم - نشر مقالاتهم الخاصة أو تعديلها بل وحظر البعض من المدونين المشاركين معهم. وتوفر المدونات أيضًا تفاعلات مع وبين القراء بتوفير خدمة التعليق التي تسمح للزوار بالاندماج مع الكاتب أو مع الزوار الآخرين. ويضيف النظام تلقائيًا عقب كل منشور حقل يتيح لزوار المدونة أن يتركوا تعليقاتهم، وتظهر ردود أفعالهم هذه بشكل تلقائي (مع تدخل مدير - مالك - المدونة أو بدونه) على صفحة المنشور. ويذكرنا تيم أوريلي³¹ بأنه في أعقاب نشر المقالات على المدونات، «تبدأ المناقشات وتعدّد حلقات درشة ونقاش وتقوى بشكل طبيعي علاقات الود والصدقة. « فالنشر على مدونة ما هو في الواقع إلا اندماج في تفاعلات (قوية) مع القراء، فحري بنا أن نأخذ هذا الجانب بعين الاعتبار ونتذكره حينما نقرر العمل مع متعلمين للغة ما على مدونة ما.

ذكرنا أنفاً كيف تكون العلاقة بالغة الأهمية بين من يقوم بالعمل ومن يتلقاه. فالشبكة 0.2 تقحم في صميم عملها التفاعلات بين مستخدمي الإنترنت فيما بينهم وعلى وجه الخصوص تقييم المستخدمين لتفاعلات المستخدمين الآخرين سواء كان تقييمًا مباشرًا أو غير مباشر. فعلى موقع ويكيبيديا على سبيل المثال، يتم التقييم بتدخل المستخدمين على المعلومات المنشورة، أو على التعليقات المتروكة في خانة الـ"مناقشة"، أو على المساهمات المصنفة كـ"مشروع". أما على المدونات، فبالإمكان أن يكون التقييم من خلال التعليقات، ولكنه قد يتم أيضًا بطريقة غير مباشرة من خلال روابط المدونين المضافة أو غير المضافة على مدوناتهم الخاصة فيقيمون بعض المحتوى بطريقة إيجابية ويعيبون بعضه وذلك باستبعاده من شبكة مراجعهم. وهذا يشكل أيضًا جزءًا من نظام الوصلات هذه التي وضعها « الناس المتواصلون والأكثر إنتاجًا³²» أي المدونون، وهذا ما يسمح لجوجل بأن يحدد ما هي الصفحات المفضلة لمجال ما وبأن ينشرها كأولوية في نتائج البحث.

وأنشئت شبكة 0.2 على مبدأ العمل أو بالأحرى العمل المشترك وفق قيود علائقية، فأن تتفاعل على الشبكة 0.2، هو أن تضيف إليها محتوى، ومعلومات وأن تكون جزءًا من تفاعل اجتماعي - محتمل على الأقل - . هذه خاصية من جملة خصائص ذكرها تيم أوريلي والتي ستتيح لمستخدم الإنترنت أن يركز على معالجة ونشر المعلومات، بنفس القدر على تركيزه على العلاقة الاجتماعية التي ينتمي إليها: سهولة البرامج الموضوعية تحت تصرف مستخدمي الشبكة.

3.3. النشر بدون قيود تقنية

يُجرى النشر على برامج التأليف الحر (الويكي) أو في مدونة ما أو على موقع معين³³ مستخدم الإنترنت من جميع أشكال القيود التقنية وذلك باستخدام خدمة التوليد التلقائي للنص الموجودة على مواقع مثل مواقع جوجل (Google Sites) ، فهذا النظام يساعده على تنفيذ العمليات الأكثر أهمية وخاصة الرفع على الإنترنت والتصميم التلقائي لتصفح معين مقترحًا بذلك

³⁰ وهكذا تعرف موسوعة ويكيبيديا المدونة: المدونة هي موقع الكتروني تم أنشاؤه ليجمع من التدوينات تصنف غالباً تصنيفاً زمنياً تصاعدياً (الأحدث أولاً). فكل تدوينة (يطلق عليها أيضاً ملاحظة أو مقال) هي، أشبه بسجلات السفن أو بمفكرة، بمثابة إضافة للمدونة: ينشر عليه المدون (مدير المدونة) محتوى نصي في الغالب مزود بوصلات وروابط وعناصر متعددة الوسائط والتي يمكن لكل قارئ إضافة تعليقات عليه. (نسخة 6 مايو 2009) (الباحث).

³¹ O'Reilly T., 2005.

³² O'Reilly T., 2005.

³³ نحن (الباحث) نتمسك بالتمييز بينها حتى وإن اعتبرت المدونة موقعًا ذي طبيعة خاصة (انظر التعريف أعلاه) وحتى وإن عملت بعض أنظمة الإدارة ببطء على إخفاء هذا التمييز.

العدد الخمسون / يناير / 2021

روابط مع المقالات أو الصفحات التي تم إنشاؤها. ولوضع محتوى معين على الشبكة لن يكون المستخدم بحاجة لاكتساب قدرات وكفاءات برمجية، ولا لأن يتقن استعمال برنامج إنشاء صفحات على الشبكة، فالنشر على الإنترنت لم يعد يحتاج حتى لشراء مساحة على خادم ما. كما تقترح خدمات المدونات أيضاً تصاميم مسخرة بالكامل للاختيار وذلك بضغطة واحدة، وبالتالي فإنه سيكون بإمكان المستخدم الحصول على مدونة تعمل تقنياً بشكل ممتاز في بضعة دقائق وتتمتع شكلياً بمظهر احترافي.

كما يلغي الجانب التعاوني القوي على برامج التأليف الحر (ويكي) قيوداً تقنية وشكلية، فحين يرغب مستخدم الإنترنت في نشر معلومات معينة على هذه البرامج سيتأتى له ذلك دون الحاجة إلى القلق بشأن تدابير التهيئة والتنسيق التي يمكن أن يقوم بها مستخدمون آخرون. وينطبق ذلك، على ويكيبيديا مثلاً حيث يمكن للمستخدمين إدخال تحسينات على تصميم وتنسيق صفحات ويكيبيديا أو إضافة روابط داخلية بالصفحات المعالجة لمواضيع مثارة في المنشورات الحديثة في الوقت الذي تضمن فيه روبوتات إدماج المقالات الجديدة في شبكة النصوص التشعبية الموسوعة بإعادة إرسالها باتجاه مقالات مشابهة مكتوبة بلغات أخرى.

فما يتم تطويره على الشبكة 0.2 هو في الواقع معالجة المعلومات والعمل المشترك وكذلك التفاعل الاجتماعي. فالمستخدم الذي تم تحريره من الجوانب التقنية للنشر على الإنترنت سيتمكن من التركيز كلياً على طريقة تعامله المشترك وعلى الضوابط الاجتماعية التي يتم فيها تعامله هذا. كما تعتبر الشبكة 0.2 - وشأنها في ذلك شأن الكثير من المواقع - فضاءً للعمل والتفاعل المشترك، وفضلاً عن ذلك تركز - كما ذكر ذلك تيم أوريلي - على معالجة البيانات آلياً ومن ثمّ معالجة المعلومات من قبل المستخدم المشارك والمحرر من كل الجوانب التقنية والشكلية للنشر.

لقد أوضحنا للتو أن الشبكة 0.2 فضاء مميز للقيام بتنفيذ منهجاً للتفاعل المشترك وذلك بحكم طبيعة عملها والإجراءات الناجمة عن استخدامها. وسوف نوضح الآن كيف يمكن للتفاعل على الشبكة أن يحور عنصريين أساسيين - على الأقل - من عناصر الموقف التعليمي والتربوي: دوافع المتعلمين وعلاقة المتعلمين بالمعلم. وللقيام بهذا، اعتمدنا على التجربة التي أجريناها في جامعة الزبورغ عام 2007³⁴.

4.3. التعامل (المشترك) وفق قيد علائقي: من عوامل الدافعية والجودة

كان قد اقترح تنفيذ عدة مهام اتصالية كتابية وذلك في درس لغوي يهدف إلى تعميق وتقوية الكفاءات الكتابية لطلبة اللغة الفرنسية كلغة أجنبية الذين سيمتهن أغلبهم مهنة التدريس، وقد وُجّه بعض هذه المهام (كتابة سيرة ذاتية، رسائل دوافع، وسير ذاتية لكتاب وأدباء...) ليقرأها المعلم فقط، بالمقابل تم نشر مهمتين أخريين على الإنترنت: نُشرت انتقادات للقطات قصيرة وجديدة على مدونة مفتوحة لهذا الغرض وتم إنتاج مقالات على المدن التي ينحدر منها الطلبة لصالح موسوعة ويكيبيديا³⁵. وفي نهاية الدرس، أُجريت مقابلات مع الطلبة حول دوافعهم من وراء تنفيذ الأنشطة المقترحة وحول الجوانب الإيجابية والسلبية لكل نشاط من هذه الأنشطة.

Ollivier C., 2007.³⁴

³⁵ هذه المهمة الاتصالية موجهة إلى طلبة متخصصين في اللغة الفرنسية كلغة أجنبية والذين يملكون مستوى كاف جداً لإنجازها. كما نستطيع أن نقترح على المستويات الأقل كفاية المشاركة في منتديات (كالرحلات والطبخ على سبيل المثال). وتقل المتطلبات اللغوية على هذه المواقع بينما يقوى الجانب التفاعلي المشترك خاصة إذا ما تم اختيار منتديات حيوية ونشطة.

العدد الخمسون / يناير / 2021

وأظهرت إجابات الطلبة وبشكل واضح أن الكتابة على ويكيبيديا حفزتهم بشدة أكثر من كتابة النصوص التي يقرأها المعلم فقط وحتى أكثر تحفيزاً أيضاً من كتابة السير الذاتية ورسائل الدوافع التي يعترف الطلبة بقيمتها العملية والتي كانوا هم بأنفسهم قد طالبوا بتضمينها في برنامج الدرس في بداية الفصل الدراسي. وبلغ معدل التحفيز للنشر على ويكيبيديا لدى الطلبة المشاركين في المهمة القيمة المتوسطة 6 درجات على مقياس يبدأ من 0 (غير متحفز بالمرّة) إلى 6 (متحفز جداً)، تسعة طلبة من أصل خمسة عشر طالباً قاموا بتظليل الخيار رقم 6 فيما يتعلق بالنشاط على ويكيبيديا مشيرين إلى أن هذا النشاط كان قد حفزهم إلى أعلى درجة. وعند تحليل إجابات الطلبة لغرض توضيح الجوانب الإيجابية للتجربة ثبت أن أكبر عوامل التحفيز والدافعية هي مبادئ وأسس منهج التفاعل المشترك.

ومن الجوانب الإيجابية والمحفزة بشكل خاص تثبت الطلبة بحقيقة أن الأمر تعلق بعملية نشر واقعية. فاعتبر الكثير منهم أن حقيقة نشر النشاط وقراءة المستخدمين الآخرين له وعدم كتابته فقط "للمعلم أو لصالحنا" هو أحد عوامل التحفيز والدافعية، وبعبارة أخرى يعتبر تجاوز للعلاقة معلم / متعلم، وأيضاً تخطي لإطار مجموعة الأقران. وتسجل أيضاً في نفس هذا الاتجاه ملاحظات من قبيل "سيقراء الجميع"، "شيء حقيقي - عمل ذو نتيجة مستدامة / عمل له معنى". ولقد أخرج الطلبة من تلقاء أنفسهم العناصر الأساسية التي ذكرناها في تقديم نهج التفاعل المشترك: يتعلق الأمر بالعمل "من أجل الواقع" وسط تفاعل اجتماعي مشترك حقيقي؛ لقد قرأ ما كتبناه القراء الذين توجهنا إليهم حقاً.

ومن نفس هذا المنظور، شعر الطلبة أيضاً أن التعديلات التي أجراها المستخدمون الآخرون على مقالاتهم كانت بمثابة ملاحظات محفزة للغاية (« لقد فوجئت بشكل إيجابي بأن أرى غيري من المستخدمين يقرأ منشوري ويدخل عليه بعض التعديلات»، « هذا ممتع جداً لأنك [...] تلاحظ كيف يُعدّل الآخرون ما كتبت»). إن النشر بصيغة ويكيبيديا وسرعة تنفيذه عامة (وهذا أحياناً - وحتى غالباً - مسألة ساعات قليلة) يبهز الطلبة ويترك لديهم انطباعاً بأن مساهمتهم كانت تؤخذ على محمل الجد وبأنها دُججت بشكل تام في الموسوعة وأصبحت بالتالي مرجعاً عالمياً. وإضافة إلى ذلك، فقد بلغت العديد من المنشورات ما يبحث عنه الكثير من الناشرين على الإنترنت وتحديداً الاعتراف بجدواها وأهميتها من قبل محرك البحث جوجل، فنجدها تظهر واقعياً في الترتيب الأولي لنتائج بحث ما أجري على محرك البحث جوجل فرنسا. ومع ذلك فإننا نعلم بأن جوجل يرتب - إلى حد ما - النتائج وفق الروابط التي ينشئها المستخدمون الآخرون مع صفحة معينة. فاعتراف جوجل ليس اعتراف يتم بواسطة روبوت، ولكنه اعتراف اجتماعي.

لقد أكد بعض الطلبة أيضاً على أن النشر حول موضوع مألوف لديهم أو كان ينبغي أن يكون مألوفاً لديهم هو أمر محفز بشكل خاص. فسواء كان لديهم معرفة متأسلة بمدنهم الأصلية، أو كان ينبغي عليهم القيام بأبحاث، فلقد شعروا في نهاية الطاف بأنهم تحصلوا على خبرة وخاضوا تجربة قابلة للمشاركة على موقع موسوعي.

وللوعي بالقيود العلائقية وقع إيجابي على جودة ونوعية النتائج. فلقد أدرك الطلبة وبشكل كبير حقيقة أن نتائجهم كان ينشر على موسوعة إلكترونية على شبكة الإنترنت وأنهم بالتالي كانوا في علاقة اجتماعية محكومة بحقوق وواجبات. زد على ذلك، فإن ويكيبيديا تحدد ويوضح على صفحتها المخصصة للقواعد الداخلية³⁶ اندماج المستخدم الناشر في علاقة قوية من التفاعل

العدد الخمسون / يناير / 2021

الاجتماعي: « للناسرين بعض الحقوق (مثل حق الاحترام) ولكن عليهم في نفس الوقت بعض الواجبات تجاه الآخرين والمجموعة. » . واعين بهذه الواجبات المرتبطة بالعلاقة التي أدخلتهم فيها مشاركتهم الحيوية على ويكيبيديا، ومدركين بالتالي للمسؤولية التي يقتضيها النشر على الإنترنت، أكد الطلبة على تطور روح الاهتمام بالتصويب لديهم أكثر منه في حالة قيامهم بمهام اتصالية يعود فيها النتاج إلى المعلم وحده. وتؤثر هذه الروح بنفس القدر - ملاحظة مهمة - على المعلومة واللغة على حد سواء. فالنشر على ويكيبيديا يتطلب منهم الحصول على المعلومات وتقييمها وفرزها واختيارها وأن يصيغها في نص مكتوب بلغة تلائم تطوعات القراء.

إن نشر النصوص على موقع إلكتروني لا يدفع المتعلم إلى مزيد من التدقيق والانتباه في كتابته ويسمح بالنشر على مستوى من التفاعلات الاجتماعية الحقيقية فقط بل يتعداه ليمسح أيضاً بتقويم وتنقيح العلاقة بين المتعلم والمعلم.

5.3. تقويم العلاقة مُعلم / متعلمون

لم يعد المعلم هو الوجهة النهائية لنتاج المتعلمين، بل يمكن أن يلعب دور ذلك الخبير الذي يقدم المساعدة والنصح خلال عملية الكتابة وتحرير النصوص بصفته خبير وكذلك بصفته شخص عادي. إذا، لم يُعد يؤول إليه الحكم على نتاج المتعلم، هذا الدور يعود إلى المتلقي الحقيقي للعمل، إلى مجتمع ويكيبيديا، على سبيل المثال، الذي يعتبر المصدر لتحسين جودة نص ما. فبالخلاص من دوره كُمقيم، سيكون بإمكانه أن يصبح هو نفسه وبكل ما تعني الكلمة فاعلاً في عملية إنجاز المهمة. ولضمان جودة اللغة في منشوراتهم، لجأ العديد من الطلبة إلى بعض الناطقين بالفرنسية بمعرفتهم، في الوقت الذي فضل آخرون اللجوء إلى خدمة التصحيح الإلكتروني على الإنترنت مثل اورتونت Orthonet³⁷، ولكن هناك أيضاً البعض من ارسل إلينا نصوصهم قبل النشر طالبين منا تصحيحها لكي تتناسب هذه النصوص مع المستوى المأمول لدى مجتمع ويكيبيديا من الناحية اللغوية.

إن مزايا القيام بتنفيذ النهج التفاعلي على الشبكة 0.2 واضحة وبديهية. ولكن ليس باليسير الحصول على فضاءات لجعل المتعلمين يتفاعلون عليها بسبب مستواهم بشكل خاص. ومن هنا جاء مشروع أوروبي تحت إشرافنا يُعنى تحديداً باقتراح وتقديم مثل هذه الفضاءات للمتعلمين.

4. Babelweb - موقع يتيح القيام بتنفيذ نهجاً تفاعلياً مشتركاً

واستناداً على هذه الأفكار والخبرات، أطلق المشروع الأوروبي Babelweb³⁸ بدعم من اللجنة الأوروبية. ويهدف هذا المشروع على تصميم وتنفيذ موقع خدمي وتعليمي لثلاث لغات رومانية هي الإسبانية والفرنسية والإيطالية ويقوم بتنفيذ نهجاً تفاعلياً مشتركاً لتعليم هذه اللغات.

ويطور Babelweb نماذج متمحورة حول مهام اتصالية مشتركة بين اللغات الثلاثة³⁹ وقابلة لكي تُنجز على الإنترنت بفضل استخدام أدوات الشبكة 0.2 (بالأساس برامج تأليف حر ومدونات). وتتيح هذه المهام الاتصالية للمتعلمين فرصة -

³⁷ اورتونت هي خدمة مقدمة من المجلس الدولي للغة الفرنسية وخاصة لإرسال النصوص لفريق مختص لغرض تصحيحها والذي يعيدها لكتابتها بالبريد الإلكتروني خلال الساعات

والأيام التالية <http://orthonet.sdv.fr>

www.babelweb.eu.

³⁹ بالإضافة إلى اقتراح المهام المشتركة بين اللغات، يسعى المشروع إلى المساهمة في نشر فكرة الفهم المشترك وإلى تطوير التعددية اللغوية الملبية للحاجيات؛ فالمتعلمون مدعوون إلى أن يدركوا بأنهم قادرين على الفهم بشكل كبير لمنشورات المتعلمين والمستخدمين الناطقين باللغات الرومانية الأخرى،

العدد الخمسون / يناير / 2021

المشروع يستهدف المراهقين الأكبر سنًا والطلبة والبالغين - أن يقوموا بأمر ملموسة في إطار التفاعل الاجتماعي المشترك الحقيقي. وتقترح فضاءات النتاج والتبادل العشر المستحدثة القيام بمهام اتصالية على مستوى الكتابة مصحوبة بالصور والصوت والمقاطع المرئية، وهذه الفضاءات هي:

- حكايا الرحلات. يمكن لمستخدمي Babelweb أن ينشروا على هذه المدونة مقال عن رحلة قاموا بها سواء كان هذا المقال معززا بالصور والصوت والمقاطع أو غير معزز.
- فيلم لا ينبغي تفويته ! بإمكان المستخدمين أن يعرضوا أو يوصوا بفيلم أحبوه واستمتعوا به.
- أجمل مكان في العالم. ويتعلق الأمر بأول فضاء للنشر والتبادل أطلق من Babelweb والذي عرف نجاحا باهرا بالفعل. فعلى هذه المدونة يمكن للمتعلمين (أو غيرهم) أن يعرضوا ما يروه أجمل مكان في العالم. ففي الوقت الذي اختار فيه البعض تقديم نصوص، اختار البعض الآخر عرض نصوص معززة بصور، وقد تم بالفعل التعليق على عدد من المقالات من قبل بعض القراء.



نموذج 3: أجمل مكان في العالم - مدونة من مشروع Babelweb

- الأوديسة الجديدة. وهو برنامج تأليف حر (الويكي) يدعو إلى الكتابة بطريقة تعاونية عن رحلة لشخصيات مخترعة.
- وصفتي المفضلة. وتوفر هذه المدونة إمكانية مشاركة وصفة معينة بالصور أو بالمقاطع المرئية مع مستخدمي Babelweb الآخرين.
- قصائد حرة. يمكن لكل مستخدم على هذا الفضاء أن ينزل شرحًا وتفسيرًا مسموعًا أو مرئيًا لقصيدة معينة لغيوم ابولونير أو نشر قصائد أخرى.

العدد الخمسون / يناير / 2021

- شخص ما. وتتيح هذه المدونة للمستخدم تقديم عرض مرئي لشخصية من محيطه يُفترض بأنها ستستحوذ على اهتمام زوار الموقع.
- ارسم لي حياتك. سيكون بإمكان المستخدمين على هذا الفضاء ترك رسومات مصحوبة بنصوص قصيرة تعرض جوانب من حياتهم أو من يومياتهم.
- عالم عشي. سيتعلق الأمر بتجميع اسئلة عبثية (على شاكلة: كيف لأشول أن يكون الذراع اليمنى لأحدهم؟) وتجميع إجابات محتملة عنها.
- ديكور جديد. ويقترح هذا الفضاء وضع صورة لقطعة من أثاث البيت طلباً لنصائح متعلقة بالديكور من المستخدمين الآخرين لBabelweb.

صممت كل هذه المدونات وبرامج التأليف الحر (ويكي) بمنظور تدريسي بحث وبأهداف تعليمية معرفة وواضحة المعالم لكي يمكن استخدامها ابتداءً من المستويات A1، أو A2، أو B1 على حسب الحالة، ولكنها تغطي القدر اليسير من الجانب التربوي، أما الجوانب التدريسية (تعريف الأهداف، والمساعدة اللغوية...) فقد تم ترحيلها إلى بوابة موازية⁴⁰ للمعلمين الذين سيجدون عليها قسائم واستمارات تربوية تشير إلى أهداف كل مهمة من المهام وكذلك المستوى الذي يجب أن تنجز فيه؛ كما توفر هذه القسائم أفكاراً عن إنجاز المهام صحبة مجموعات من المعلمين. كما يتاح أيضاً على هذه البوابة العديد من الأنشطة والتمارين التعليمية تهدف إلى اكتساب وإعمال المعارف والقدرات اللازمة لإنجاز المهام.

وقد سمح هذا بخلق فضاءات نشر وتبادل تفتقر إلى الوجبات التدريسية وقريبة من العديد من المواقع التشاركية الموجودة على الشبكة والتي تنشط وتستمر بفضل مساهمات المستخدمين. وهكذا يعتمز المشروع إظهار ضلوعه في الحياة الواقعية وأنه يصل بنفس القدر إلى القراء المتحدثين للطبيعيين للغة وإلى المعلمين لهذه اللغة. ويظل هذا التصور قائماً طالما أن مساهمات المعلمين ومساهمات القراء المتحدثين الأصليين للغة تشارك الوجود على أول مدونة تم إطلاقها. وقد لاحظ فرانسوا ماجنو وفريدريك بنيللا⁴¹ أن « المنهج الموجه نحو العمل - الذي يهدف إلى ممارسات تربوية مواكبة للواقع - يجعل من المعلم المصمّم ساحر يجب أن تحتفي خيوطه (التدريسية) داخل المشهد الحقيقي أو الوهمي، الذي يستخدمه كخلفية ». ويذهب مشروع Babelweb في هذا الاتجاه لترسيخ مفهوم « طرق خفية في تدريس اللغات»، المقتبس من مفهوم « المسرح الخفي » الذي تم دمج في « مسرح المقهورين » لأوغستو بوال. فمثلما لا يدرك مشاهد هذا المسرح أنه شاهد - في موقف من مواقف الحياة اليومية - عرضاً تمثيلاً، فلا ينبغي كذلك على المتعلم حين دخوله على Babelweb أن يدرك أنه يتفاعل على موقع شُيّد لأهداف تدريسية، بل يجب أن يتولد لديه انطباع على انه يتعامل مثله مثل مستخدمين كثر على موقع من مواقع شبكة 0.2، وأن وجود مساهمين آخرين من غير المعلمين سيدعم رؤيته هذه وسيساهم في نزع الخاصية التدريسية عن مشروع Babelweb. فالمشاركة والمساهمة على Babelweb هي التعامل مع الآخرين لتطوير موقع ما وتنميته والانخراط في تفاعل اجتماعي مشترك للشبكة 0.2.

⁴⁰ <http://edu.babel-web.eu>

⁴¹ Mangenot F. et Oenilla F., 2009, p. 90

العدد الخمسون / يناير / 2021

الخاتمة

إن القيام بتنفيذ منهجًا للتفاعل المشترك، هو أن نقترح على المتعلمين مهامًا اتصاليةً راسخةً ومدججةً في الحياة الواقعية، مهام تنشأ حول هدف واضح المعالم ويتطلب فعلاً وممارسةً او عملاً مشتركاً داخل تفاعلات اجتماعية تحدد بشكل كبير هذا الفعل والممارسة أو العمل المشترك.

إن القيام بتنفيذ منهجًا للتفاعل المشترك، هو أيضاً تجاوز للمحاكاة أي كان نوعها. فالقيام بتنفيذ منهجًا للتفاعل المشترك، يعني السماح للمتعلم بأن يطور قدرات اتصالية حقيقية وفعالة مع مراعاة الجانب الأساسي: السياق الاجتماعي المحدد لكل عملية تفاعل واتصال.

إنه من خلال النهج التفاعلي المشترك يتأتى للمتعلم أن يصبح فاعلاً اجتماعياً بكل ما للكلمة من معان. فإذا لم يكن هناك أي شك حول القيام بالتفاعل المشترك للأسباب التي ذكرناها آنفاً - لقد ذكر المشاركون في تجربة النشر على ويكيبيديا أن ذلك كان يشكل أحياناً ضغطاً بسبب التحدي -، فسيعلق الأمر وبكل وضوح بإضافة مهام راسخة ومتأصلة في الحياة الواقعية إلى المهام الاتصالية المقترحة في الإطار الأوروبي المرجعي المشترك للغات وبالتالي بالتوضيح للمتعلمين أن اللغة التي يتعلمونها يمكن أن تسمح لهم وبشكل سريع أن يتفاعلوا وان يتفاعلوا بتعاون\ وأن يتفاعلوا تشاركياً بشكل حقيقي مع أشخاص آخرين من خارج مجموعة المتعلمين والمعلمين.